

البَابُ الثَّانِي

تعليم اللغات

أولاً : وظيفة اللغة :

(١) تمهيد :

يعيش الإنسان عيشة جماعية ، مع مجموعة من الجنس البشرى ، تربطه بهم عوامل متعددة من النسب والحوار ، واتحاد الغايات والآمال والآلام والعواطف ، وغير هذا من الروابط الاجتماعية ؛ وهو لذلك فى أشد الحاجة إلى أن يتفاهم مع هذه المجموعة ؛ لتستقيم حياته ، وتنظم أموره ؛ ولا نستطيع أن نتصور مجموعة من الناس ، يمكنها الاستغناء عن وسيلة للتفاهم بينها ، ولا شك أن المجموعات البشرية قد جهدت — منذ العصور التاريخية الأولى — فى سبيل الوصول إلى هذا التفاهم المنشود ، ولعلها تدرجت فى هذه السبيل ، فالتحذت من الإشارات والحركات والأصوات والرموز وسائل تعين على تحقيق هذا التفاهم بينها ، ثم انتهت هذه الجهود المتصلة ، باستخدام اللغة وسيلة لهذا التفاهم .

ولا يعنينا الآن أن نستقصى كل ما قاله الباحثون فى فقه اللغة ، أو علوم الاجتماع ، عن نشأة اللغات ، وهل بدأها الإنسان بأصواته الطبيعية ، التى تعبر عن انفعالاته فى المواقف المختلفة ، كأصوات الفرح والابتهاج ، وأصوات الحزن والرعب أو ما إليها ، وبمحركاته أصوات الحيوان فى نباحه وزئيره ، وموائه وثغائه ، وأصوات الطبيعة فى خريف الماء ، وحفيف الشجر ، وتناوح الرياح ، وأصوات القطع والكسر ، وجعجعة الرحى ، ونحو ذلك ؛ ليعبر بهذه المحاكاة عن الشيء الذى يصدر عنه الصوت ، أو عما يلازمه من معان وأحوال . كما نلاحظ فى الطفل الصغير ، حين يعبر عن الكلب بقوله « هو » وكأنه يريد أن يقول : الحيوان الذى يقول : « هو » أو حين يعبر عن الدجاجة بقوله : « الكاكة » .

كما لا يعنينا أن نجيب عن الأسئلة التى أثارها هؤلاء الباحثون . كقولهم : أكانت اللغة فطرية . أم كانت عن طريق المواضعة والاصطلاح ؟ أين نشأت اللغات ؟ متى

نشأت ؟ ما أول لغة ؟ . . . إلى غير ذلك من الأسئلة .

لا يعنينا في بحثنا أن نتجه هذا الاتجاه ، الذى يضطرنا إلى كثير من الفروض والاحتمالات ، ولكن الذى يعنينا أن نذكر أن اللغة كانت أهم ما وصل إليه الإنسان من وسائل التفاهم ، لما تمتاز به من اليسر والوضوح ، ودقة الدلالة ، ولأن كثيراً من العواطف والمعانى الوجدانية لا يمكن التعبير عنها إلا باللغة ، وغير ذلك من المزايا .

وأن نذكر — كذلك — أن هذه اللغة التى وصل إليها الإنسان ، لم تستكمل مقوماتها من حيث تنوع الأصوات ، وإحكام الألفاظ ، ودقة الدلالة على المعانى المختلفة ، إلا فى عدة مراحل متعاقبة ، وإذا اتخذنا ظواهر النمو اللغوى فى النوع الإنسانى ، من عهد الطفولة ، إلى اكتمال الرجولة مثالا نقيس إليه المراحل التى سارت فيها نشأة اللغات ، فإننا نستطيع أن نتصور أن اللغة قد انتقلت من الأصوات إلى المقاطع إلى الألفاظ ، ثم خضعت هذه الألفاظ لنوع من الوضع والاصطلاح ، ولما تجاوزت اللغة مرحلة النشأة والطفولة دخلت فى طور تقدمى جديد ، هو طور القوانين والضوابط اللغوية ، التى تحميها من الفساد ، ثم تهيأت لها بعد ذلك ألوان من التجميل والزينة والتأنق .

(ب) وظيفة اللغة فى حياة الفرد :

اللغة وسيلة لانتصال الفرد بغيره ، وعن طريق هذا الانتصال يدرك حاجاته ، ويحصل مآربه ، كما أنها وسيلته فى التعبير عن آلامه وآماله وعواطفه ، وهذه الترجمة عما يخالج النفس من الميول والانفعالات والخواطر ، تعد من أظهر الفوارق بين الإنسان وغيره من الأحياء ، واللغة تهيئ للفرد فرصاً كثيرة متجددة للانتفاع بأوقات الفراغ ، عن طريق القراءة ، وزيادة الفهم للمجتمع الذى يزيد إنتاجه الفكرى يوماً بعد يوم ، واللغة أداة الفرد حين يحاول إقناع غيره فى مجالات المناقشة والمناظرة وتبادل الرأى فى أمر حيوى .

وهى أدواته — كذلك — حين يريد التأثير فى جماعة ؛ ليسلكوا سبيله ، وينهجوا نهجه فيما يدعوهم إليه .

واللغة — كذلك — أداة التفكير . والصلة بين اللغة والفكر صلة وثيقة محكمة ؛ لأن الفكرة منذ إشراقها فى الذهن تظل عامة شائعة ، يعوزها الضبط والتحديد ، حتى تجد الوسيلة التى تعبر عنها ، من لغة ، أو رسم ، أو نموذج ، ودور اللغة فى هذا التعبير له

المقام الأول ؛ ولذا يقال : التفكير كلام نفسى ، والكلام تفكير جهرى ، ويقول الشاعر
فى هذا المعنى :

إن الكلام لى الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً
ومن أهم ما يفيد الفرد من اللغة تغذية الجانب العاطفى عن طريق التذوق الجمالى
للآثار الأدبية ، ووظيفتنا فى المدرسة لا تقف عند تمكين التلميذ من التعبير السليم ،
بل يجب أن نأخذ به سلامة الذوق وجمال التعبير ؛ واللغة وسيلة الفرد للاستفادة من تجارب
الجنس البشرى وثمار القرائح والعقول ، عن طريق القراءة والاستماع .

كما أن اللغة للإنسان أشبه بجهاز عصبي آخر ، مع الجهاز العصبي الذى منحه ؛ إذ
نستطيع باللغة أن ننبه إنساناً إلى خطر لا يراه فيتجنبه ، كما يستطيع الفرد عن طريق
القراءة أن يرى صوراً ومناظر لا تنهيا له رؤيتها ، وباللغة يستمتع الإنسان بوسائل التسلية
والترفيه ، فيبهج ويضحك كأنه يرى ما يبهج ويضحك .

(ح) وظيفة اللغة فى حياة المجتمع :

لكى نفهم الدور الذى تنهض به اللغة فى حياة المجتمع ، ووظيفتها فى تنظيم هذه الحياة ،
نتصور أن مجتمعاً ما قد تعطلت فيه اللغة يوماً أو بعض يوم ، فلا كلام ولا كتابة
ولا قراءة ، وننظر بعد هذا ما أصاب ذلك المجتمع من توقف وشلل وركود ، فنذكر
مدى توقف حياة المجتمع على اللغة ، ومدى حاجته إليها فى قضاء مآربه الأولية ، أو
تنظيم شؤنه الإدارية والسياسية والتعليمية ونحوها .

فاللغة وسيلة اجتماعية ، وأداة للتفاهم بين الأفراد والجماعات ، فهى سلاح الفرد فى
مواجهة كثير من المواقف الحيوية ، التى تتطلب الكلام أو الاستماع ، أو الكتابة ، أو
القراءة ، وهذه الفنون الأربعة أدوات هامة فى إتمام عملية التفاهم من جميع نواحيها ،
ولا شك أن هذه الوظيفة من أهم الوظائف الاجتماعية للغة .

ومن الوظائف الاجتماعية للغة اتخاذها أداة للدعاية ، فالخطب والمقالات والنشرات
والإذاعة والمؤلفات ، كلها وسائل لغوية لهذه الدعاية ، التى أصبح لها شأن خطير فى
الحياة الإنسانية ، وقد أثبتت الحروب الحديثة أن الدعاية سلاح تعتمد عليه الدولة
الحاربة ، وأنه قد يفوق أنواع الأسلحة الأخرى ، فى تحطيم قوى الأعداء ، وإحراز
النصر .

واللغة - كذلك - من أهم وسائل الارتباط الروحي بين أفراد مجتمع معين ، وقد تختلف مجسوعات من الدول في البيئة ، أو الجنس ، أو الدين ، أو في غير ذلك من الفوارق الاجتماعية والاقتصادية ، ولكنها تظل متحدة متماسكة إذا كانت لغتها واحدة ، وأظهر مثال لذلك الأمة العربية ، وكذلك الإنجليز والأمريكيون ؛ وبهذا نفسر حرص الدول الاستعمارية على نشر لغاتها في الأمم التي تستعمرها ؛ لأنها تكتسب بهذا الغزو اللغوي قلوباً وميولاً ، ربما لا تحصل عليها بطريق العنف ، واستعمال القوى المادية .

واللغة - أيضاً - عامل هام في حفظ التراث الثقافي والحضارى ، ونقله من جيل إلى جيل ، والمشاركة في تنمية هذا التراث للأجيال المستقبلية .

وقد بدأ المفكرون ينظرون إلى اللغة على أنها من أهم العوامل التي يمكن استخدامها في تحقيق فكرة التقارب والتفاهم العالمى ؛ وذلك بتبادل الآداب المختلفة ، والدراسات الاجتماعية كالتاريخ والاجتماع والتربية الوطنية ، وغير ذلك مما يوضح آمال الشعوب ، وطبائعها ، وعواطفها ، ومزايها ، وكل هذا يساعد على تقريب وجهات النظر بين الشعوب المختلفة .

ثانياً : نظرة التربية إلى تعليم اللغة :

(١) التربية القديمة :

ظلت التربية في العصور القديمة تنظر إلى اللغة على أنها مادة دراسية ، تعلم لذاتها ، وقد غالت تلك التربية القديمة التقليدية في هذه النظرة ، وأهملت كثيراً من النواحي الوظيفية للغة .

وقد ترتب على هذه النظرة القديمة كثير من الأخطاء ، يرجع بعضها إلى المناهج الدراسية ، وبعضها إلى طرائق التدريس ، وبعضها إلى تحديد الغاية من درس اللغة .

فمن تلك الأخطاء في المناهج أنه كان يراعى في وضعها ما يسمى بزيادة الثروة اللغوية ، والمبالغة في الاهتمام بالمصطلحات الجافة ؛ فنشأ عن ذلك مناهج تحتوى على مجموعة من متن اللغة ، يحفظها التلاميذ ، وهى ألفاظ غريبة لن يستعملوها في إنشائهم ، وربما لا تعرض لهم في قراءتهم .

كما قصدت هذه المناهج إلى تكليف التلاميذ أن يستظهروا أساليب لغوية مختلفة ،

لا تتفق مع لغة الحياة ؛ وقد أدى ذلك إلى إملال التلاميذ ، والإقبال عليهم ، وتنفيرهم من درس اللغة .

وانعكس أثر ذلك أيضاً على طرق التدريس ، فكان موقف التلميذ دائماً موقفاً سلبياً ، وكان المدرس دائماً في موقف الإلقاء والتلقين .

وأصبحت الغاية من درس اللغة الإلمام بمفردات كثيرة ، وحفظ المصطلحات المختلفة ، وصار ذلك هو مقياس التفاضل بين الدارسين .

(ب) التربية الحديثة :

تنظر التربية الحديثة إلى اللغة ، على أنها وسيلة تفيد الفرد في فهم النواحي الثقافية ، وعلى أنها أداة اجتماعية ، تمكن الفرد من الاتصال بغيره ، والتفاهم معه ، وأساس هذه النظرة أمران :

أنها وسيلة اجتماعية للتفاهم بين الأفراد ، وأنها يجب أن تدرس على أساس أهميتها الوظيفية في الحياة ؛ وذلك ليدرك المتعلم أنه يتعلم شيئاً يحتاج إليه في حياته .

التطبيق العملي لهذه النظرة :

(١) بالنسبة للمعلم :

إذا أدرك المعلم أنه يزود التلميذ بوسيلة اجتماعية ، يستعملها في حياته فإنه سيغير حتماً طريقته التقليدية ؛ حتى يحقق هذه الغاية ، فيهم بتدريب التلاميذ على الاستعمال اللغوي الصحيح ، لا بتحفيظهم القواعد والتعاريف والتقسيم ، كما يهتم بحسن اختيار الأمثلة مما يتصل بحياة التلميذ ، وبتدريب التلاميذ على التعبير الشفوي والكتابي ، كما يجعل من درس الأدب متعة وإثارة وتغذية للعواطف ، وتدوقاً لنواحي الجمال .

(ب) بالنسبة للمناهج :

الاتجاه بالمناهج إلى الناحية العملية ؛ وذلك بتدريب التلاميذ على فنون اللغة الأربعة : التحدث ، والاستماع ، والكتابة ، والقراءة ، واستبعاد الموضوعات الجحافة الثقيلة ، التي لا تتصل اتصالاً مباشراً بالوظائف الأساسية للغة .

(ح) بالنسبة للأوضاع التربوية :

ليست اللغة مادة دراسية فحسب ؛ ولذلك يجب ألا يقتصر تعليمها على فترات معينة محدودة في الجدول الدراسي ، بل يجب تدريب التلاميذ على الاستعمال اللغوي الصحيح ، في كل فرصة ممكنة ، ولا ينبغي - كذلك - أن يلقي العبء كله على عاتق معلم اللغة ، بل يجب أن يعد كل مدرس مسئولاً عن النهوض بلغة التلاميذ . ويجب - كذلك - أن يعاد النظر في مناهج الكليات التربوية ، والمعاهد التي تعد المدرسين ، على اختلاف اختصاصهم ، بحيث يكون كل مدرس متمكناً من لغته ؛ ليستطيع أن يتعهد هذه الناحية في تلاميذه ، داخل حدود مادته ؛ ولهذا كان من واجب الوزارة أن تجعل اللغة العربية في طليعة المواد التي تدرس بهذه الكليات وتلك المعاهد .

ثالثاً : عناصر الاتصال اللغوي :

بيننا أن اللغة أداة الاتصال بين مجموعة من الجنس البشري ، ووسيلة التفاهم بينهم ، وتبدو هذه الأهمية واضحة حين نعيش فترة من الزمن في مجتمع لا نعرف لغته ، إننا نشعر - ولا شك - بأننا في عزلة تامة عن هذا المجتمع .

وهذا الاتصال اللغوي الناجح ينتهي إلى نوع من التفاهم ، والتفاهم هو تفاعل الفهم بين طرفين ، لك أن تسميهما مفهماً وفهماً ، أو ملقياً ومتلقياً ، أو مصدراً ومستقبلاً ، أو معطياً وآخذاً ، أو متكلماً وسامعاً ، وفي جميع هذه المعاني نجد في التفاهم إفهماً وفهماً ، والإفهام أداة طبيعية ، هي اللسان ، والفهم أداة طبيعية هي الأذن . من حيث إنها طريق موصل .

ولكن التفاهم الذي يتم عن طريق اللسان والسمع تفاهم محدود ؛ لأنه مقيد بزمن معين ، ومكان محصور ، فالإنسان لا يستطيع أن يتفاهم مع غيره بهاتين الأداتين الطبيعيين إلا إذا احتواهما مكان محدد ، وجرى الكلام والسمع في وقت واحد ، ولا شك أن الإنسان لم يقنع بهذا التفاهم المحدود المقيد ؛ لأن حاجته إلى أن يتفاهم مع غيره . ممن تفصله عنهم المسافات الزمانية والمكانية حاجة مستمرة ؛ ولهذا أعمل عقله في ابتكار وسيلة يتغلب بها على هذه القيود الزمانية ، فاخترع طريقة صناعية للإفهام ، وهي الكتابة ، وطريقة صناعية للفهم ، وهي القراءة ؛ وبهذا أمكنه أن يفهم عن الماضين ، بقراءة آثارهم المكتوبة ،

وأن يترك أفكاره ؛ ليفهمها عنه من سيأتون بعده ، وكذلك استطاع أن يتفاهم مع الناطقين عنه ، عن طريق الكتابة والقراءة ؛ وبهذا أصبح للغة أربعة ميادين : هي الكلام ، والاستماع ، والكتابة ، والقراءة ، وصارت مهمة مدرس اللغة أن يتعهد الناطقين في هذه الميادين الأربعة فيقدهم على الكلام للتعبير عما في نفوسهم ؛ لإفهام غيرهم ما يريدون ، وعلى الاستماع لفهم ما يلقي عليهم ، وعلى التعبير الكتابي للإفهام ، وعلى القراءة للفهم .

رابعاً : اللغة العربية :

اللغة العربية هي لغة العروبة والإسلام ، وأعظم مقومات القومية العربية ، وهي لغة حية قوية ، عاشت دهرها في تطور ونماء ، واتسع صدرها لكثير من الألفاظ الفارسية ، والهندية ، واليونانية وغيرها ، وفي القرون الوسطى كانت المؤلفات العربية في الفلسفة والطب ، والعلوم الرياضية وغيرها مراجع للأوروبيين ، كما كانت اللغة العربية أداة التفكير ونشر الثقافة في بلاد الأندلس ، التي أشرقت منها الحضارة على أوربة ، فبددت ظلماتها . وقشعت عنها سحب الجهالة ، ودفعتها إلى التطور والنهوض .

وفي العصور الحديثة تهيأت للغة عوامل جديدة للتطور والتقدم ؛ فقد ارتقت الصحافة . وانتشر التعليم ، وأنشئ مجمع اللغة العربية ، وهي الآن اللغة الرسمية في جميع الأقطار العربية الشقيقة ، ولغة التفاهم بين جميع الشعوب العربية ، كما أنها لغة التعليم في جميع المدارس والمعاهد وأكثر الكليات الجامعية ، وهي — كذلك — لغة الصحافة ، والإذاعة والقضاء ، والتأليف ، في البلاد العربية .

وقد اتجهت النية إلى جعلها إحدى اللغات الرسمية ، في المحافل والمؤتمرات والاجتماعات الدولية . وإذن فمن حق اللغة علينا أن نخلص لها ، وأن نبذل الجهود لرفع شأنها ، وسيادتها في المجتمع العربي ، ومن حقها في الميدان التعليمي أن نوليها أكبر قسط من العناية ، وألا نضن عليها بالجهود والوقت .

ولعل من مظاهر الاحتفاء بها ، والولاء لها ، في ميدان التعليم ، أن نتعرف إلى ما يكتنف تعليمها من صعاب ؛ حتى نتجه إلى تذليل هذه الصعاب ، وإلى تمهيد السبيل لتعليمها تعليمًا مثمرًا ميسرًا ، والواقع أن في لغتنا بعض الصعوبات ، لا سبيل إلى تجاهلها . وغض النظر عنها ، من هذه الصعوبات ما هو جوهرى أصيل ، ومنها ما هو طارئ دخيل .

فمن الصعوبات الجوهرية الأصلية التي نلاحظ آثارها في تعليم الأطفال تعدد صور الحروف العربية ، باختلاف مواقعها من الكلمة . ومنها أيضاً إضافة الحركات والسكون إلى صورة الحرف : لضبط النطق وصحة الأداء . ولا يخفى ما في ذلك من مضاعفة الصعوبات على الأطفال .

أما الصعوبات الطارئة الدخيلة فتتمثل في مزاحمة اللغة العامية ، وقوة نفوذها ، وبسط سلطانها في البيت والشارع . والملاعب والسوق : بل في المدرسة أيضاً .

ومن هذه الصعوبات التي شققت بها اللغة العربية . وأثرت في تعليمها ، الوضع الاجتماعي لها في فترة من الزمن طويلة ثقيلة . وذلك أن اللغة العربية تعرضت لألوان المحن ، وضروب الكيد . أيام الاحتلال : وفي عهود السيطرة الأجنبية على البلاد العربية ، وعملت السياسة الاستعمارية — في جد ودأب — على زحزحة اللغة القومية عن مكانتها الطبيعية . وعلى تخلف القوامين عليها عن نظرائهم ممن يحملون أعباء التربية والتعليم . كما عملت هذه السياسة على تقديم الثقافة الأجنبية ، وإثارة أربابها ، وخلق جو اجتماعي عاشت فيه أجهزة التعليم مدة من الزمن . ففقدت فيه معالم الكرامة القومية ، والعزة العربية .

ونحن — مدرسي اللغة العربية — ماذا يجب علينا حيال هذه الصعوبات ؟

لا يحمل بنا أن نبالغ في خطر ما أسميناه صعوبات جوهرية أصيلة : فإن التجارب التربوية . والطرائق الحديثة ، التي تتجدد على مدى الأيام كفتيلة بتذليل الصعوبات . وتيسير اللغة للأطفال . وقد أحرزنا في ذلك نصراً محدوداً .

أما مزاحمة اللغة العامية . فهي مشكلة اجتماعية عامة . وعلينا أن نروض أنفسنا على الصبر وطول الاحتمال . ولا يغيب عن أذهاننا أن محور الأمية . وانتشار التعليم ، وجهود الإذاعة والصحافة . والتزام اللغة الفصحى في مجالات التدريس . وترديد الأناشيد — كل ذلك من العوامل التي تنهض باللغة العامية . وترفع مستواها ، وتمهد السبيل للأساليب الصحيحة . والتعبيرات السليمة .

أما الوضع الاجتماعي للغة فيقتضيها الحق والإنصاف أن ننوه بأن اللغة العربية ، قد ظفرت في هذا العهد الجديد بحقوقها من الاحترام والتقدير والتكريم ، وتبوأت مكان الصدارة الموجه الفنى

فى الميڊان التعليمى ، وصار النجاح فيها شرطاً أساسياً لنجاح التلاميذ ، كما عرف لها قدرها وخطرها فى إحياء القومية العربية ، والدعاية لها ، والزيادة عنها .

خامساً : فروع اللغة العربية :

تندرج تحت هذا العنوان نظريتان : هما نظرية الوحدة ، ونظرية الفروع .

نظرية الوحدة :

المراد بها فى تعليم اللغة أن ننظر إلى اللغة ، على أنها وحدة مترابطة متماسكة ، وليست فروعاً مفرقة مختلفة ، ولتطبيق هذه النظرية فى تعليم اللغة يتخذ الموضوع أو النص محوراً تدور حوله جميع الدراسات اللغوية ، فيكون هو موضوع القراءة ، والتعبير ، والتلوق ، والحفظ والإملاء ، والتدريب اللغوى . . . وهكذا ، وقد كانت هذه الطريقة هى السائدة فى العهود الأولى تدريساً وتأليفاً ، وكتاب الكامل للمبرد يعدّ مثالا للتأليف على هذه الطريقة ؛ ففيه يعرض النص ، ويعالج من الناحية اللغوية والنحوية والصرفية وغيرها . وطبيعى أن نظرية الوحدة لا تعترف بتخصيص حصص معينة لأى فرع من أنواع الدراسات اللغوية .

أسس هذه النظرية :

تعتمد نظرية الوحدة فى تعليم اللغة على أسس نفسية ، وأسس تربوية ، وأسس لغوية .

فن الأسس النفسية :

- ١ - أن فيها تجديداً لنشاط التلاميذ ، وبعثاً لشوقهم ، ودفعاً للسأم والملل عنهم ؛ وذلك لتنوع العمل وتلويحه .
- ٢ - وفيها نوع من تكرار الرجوع إلى الموضوع الواحد ؛ لعلاج من مختلف النواحي ، وفى التكرار تثبيت وزيادة فهم .
- ٣ - ونظرية الوحدة تقضى بفهم الموقف الذى يمثله الموضوع فهما كلياً أولاً ، ثم الانتقال بعد ذلك إلى فهم الأجزاء ، وهذا يساير طبيعة الذهن فى إدراك الأشياء والمعلومات .

ومن الأسس التربوية :

- ١ - أن فيها ربطاً وثيقاً بين ألوان الدراسات اللغوية .
- ٢ - وفيها - كذلك - ضمان للنمو اللغوي عند التلاميذ نمواً متعادلاً ، لا يطغى فيه لون على آخر ؛ لأن هذه الألوان جميعها تعالج في ظروف واحدة ، لا تتفاوت فيها حماسة المدرس أو إخلاصه أو غير ذلك من العوامل .

ومن الأسس اللغوية :

أنها مسابرة للاستعمال اللغوي ؛ لأننا حين نستعمل اللغة في التعبير الشفوي أو الكتابي إنما نصدر في كلامنا أو كتابتنا عن ثقافتنا اللغوية وحدة مترابطة ، بمعنى أننا لا نستشير القاموس أولاً ؛ ليمدنا بالمفردات التي نحتاج إليها ، ثم نستشير القواعد ؛ لفهم كيف نؤلف الجمل ، ونضبط الكلمات ، بل يتم تعبيرنا بصورة سريعة فيها تكامل وارتباط .

نظرية الفروع :

المراد بها في تعليم اللغة أننا نقسم اللغة فروعاً ، لكل فرع منهجه وكتبه وحصصه ، مثل المطالعة ، والمحفوظات ، والتعبير ، والقواعد ، والإملاء ، والأدب ، والبلاغة . ولتطبيق هذه النظرية يعالج كل فرع من هذه الفروع على أساس منهجه المرسوم في حصصه المقررة في الجدول الدراسي .

مظاهرها في التعليم :

- تسير دراسة اللغة في المدارس على نظرية الفروع إلى حد كبير :
- ١ - فحصى اللغة موزعة على هذه الفروع .
- ٢ - ولكل فرع منهج خاص به .
- ٣ - ولكل فرع - كذلك - كتاب خاص .
- ٤ - وفي الامتحانات توزع الدرجات على هذه الفروع .
- ٥ - وكذلك الأمر في التفتيش ، فإن المفتش يختبر التلاميذ فيما يريد من هذه الفروع كل فرع على حدة .

فوالدها :

١ - اتباع نظرية الفروع يتيح للمدرس أن يؤثر لوتاً معيناً من ألوان الدراسات اللغوية بمزيد من العناية في وقت خاص .

٢ - كما يستطيع المدرس أن يستوعب المسائل التي ينبغي دراستها ؛ لأن نظرية الوحدة قد تتخلف عنها ثغرات في مسائل المنهج ، لا تظفر بنصيبها من العناية والدرس .

عيوبها :

١ - فيها تمزيق للغة يفسد جوهرها ويخرجها عن طبيعتها . فهذا التمزيق يعد تفتيتاً للخبرة اللغوية التي يكسبها التلاميذ ، ولعل هذا من أسباب عجزهم عن استعمال اللغة في المواقف الحيوية استعمالاً سليماً من جميع الوجوه ، فهم لا يتحرون الضبط الصحيح والنطق السليم إلا في حصة القواعد ، ولا يتأنقون في اختيار العبارات إلا في حصة الأدب ، ولا يهتمون برسم الكلمات رسماً صحيحاً إلا في حصة الإملاء ، ولا يرسمونها رسماً جميلاً إلا في حصة الخط .

٢ - علم التعادل في النمو اللغوي ؛ فقد تشتت حماسة المدرس ويزيد إخلاصه في حصة القواعد مثلاً ، فينعكس ذلك على التلاميذ ، ثم تفتقر هذه الحماسة ، ويخرب ذلك الإخلاص في حصة القراءة ، فلا ينتفع التلاميذ ، وبهذا الاضطراب لا يتكافأ النمو اللغوي عند التلاميذ .

٣ - في هذه الطريقة تقل فرص التدريب على التعبير . ويضيق مجاله ، مع أن التعبير هو ثمرة الدراسات اللغوية جميعها .

التوفيق بين النظريتين :

ليس التوفيق بين هاتين النظريتين عسيراً . بل يمكن الانتفاع بمحاسنهما وذلك على الأسس الآتية :

١ - ألا نعتبر أي فرع من فروع اللغة العربية قسمًا قائمًا بذاته ، منفصلاً عن غيره ، بل نعتبر الفروع جميعها أجزاء شديدة الاتصال لكل واحد هو « اللغة » .

- ٢- أن ينظر المدرس إلى هذا التقسيم على أنه تقسيم صناعي ، يراد به تيسير العملية التعليمية ، وزيادة العناية بلون معين في وقت معين .
- ٣- اتباع نظرية الوحدة في الصفوف الصغيرة ، واتباع نظرية الفروع في الصفوف المتقدمة على شرط أن يعالج المدرس أكثر ما يمكن من الفروع في كل حصّة بصورة خالية من التكلف والتعسف .

الصلة بين فروع اللغة :

- هي صلة جوهرية طبيعية ؛ لأن الفروع جميعها متعاونة على تحقيق الغرض الأصلي من اللغة ، وهو إقدار المتعلم على أن يستخلم اللغة استخداماً صحيحاً للإفهام والفهم ، وليبيان هذه الصلة بين الفروع نسوق الأمثلة الآتية في إيجاز :
- ١- المطالعة : فيها مجال للتدريب على التعبير والتذوق والاستعمال اللغوي والإملاء بجانب التدريب على القراءة والفهم .
- ٢- القواعد النحوية : فيها مجال للتدريب على التعبير والتذوق والإملاء بجانب القدرة على الاستعمال اللغوي الصحيح .
- ٣- الإملاء : فيه مجال للتدريب على التعبير والتذوق والاستعمال اللغوي بجانب التدريب على رسم الحروف والكلمات رسماً صحيحاً .
- ٤- الدراسات الأدبية : وتشمل الأناشيد والمحفوظات والنصوص الأدبية والبلاغة : فيها تدريب على القراءة والتعبير والاستعمال اللغوي بجانب الفهم والتذوق وتنمية الثروة اللغوية .
- وهكذا يمكن في كل حصّة من حصص اللغة العربية معالجة أكثر من فرع ، وتحقيق طائفة من الفوائد اللغوية مختلفة الألوان .

مزايا توكيد الصلة بين فروع اللغة :

- ١- أن يشعر التلميذ بأن اللغة وحدة متألّفة العناصر ، متكاملة الأجزاء ؛ وبهذا لا يتهيب اتساعها ونموها .
- ٢- دفع السأم والملل عن التلاميذ في أثناء الدرس ، وبخاصة تلاميذ الفرق الصغيرة .
- ٣- إتقان التلاميذ فروع اللغة بطريقة طبيعية تسير وظيفة اللغة واستعمالها .

سادساً : الصلة بين اللغة والمواد الدراسية :

ليست اللغة العربية مادة دراسية فحسب ؛ ولكنها مع ذلك وسيلة لدراسة المواد الأخرى ، وإذا استطعنا أن نتصور شيئاً من ظواهر العزلة والانفصال بين بعض المواد الدراسية ، فلن يمكننا أن نتصور هذا الانفصال بين اللغة وغيرها من المواد الدراسية ، علمية كانت أو فنية ، نظرية أو عملية .

وإذا كانت اللغة هي مادة التخصص للمدرسي اللغة العربية ، فهي بالنسبة إلى سائر المدرسين مفتاح لمواد تخصصهم ، وهي وسيلتهم الأولى لقراءة مراجع هذه المواد وفهمها ، وشرح موضوعاتها للتلاميذ ، ووضع المذكرات ، وتأليف الكتب لهم .

وهناك علاقة وطيدة بين اللغة وغيرها ؛ فقد ثبت بالتجارب والمشاهدات أن تقدم التلاميذ في اللغة العربية يساعدهم على التقدم في كثير من العلوم ، التي تعتمد في تحصيلها على القراءة والفهم ؛ فالتلميذ السريع القراءة يستطيع أن يستوعب ما يراد تحصيله في سرعة وسهولة ، والتلميذ المتمكن من اللغة يفهم ما يقرأ بسرعة ؛ فيساعده هذا على الإلمام بما يقرأ من المواد الأخرى .

وكثير من الخطأ في إجابات التلاميذ يرجع إلى عدم قدرتهم على فهم ما يقرءون ، أو إلى خطئهم في هذا الفهم ، أو إلى ضعفهم في التعبير .

وكثير من الموضوعات الدراسية يمكن اتخاذها أساساً لدراسات لغوية ، كالتاريخ والتربية الوطنية ؛ ودراسة المجتمع .

فعلى مدرسي اللغة العربية أن يطلعوا على مناهج هذه المواد ، ويتخيروا ما يصلح للدراسات اللغوية ، وكذلك دراسة المواد الأخرى باللغة العربية تتيح فرصاً مستمرة متجددة للنمو اللغوي .

أمثلة لصلة اللغة العربية بغيرها :

الحساب : لا يستطيع التلميذ حل مسألة لا يفهم لغتها ، ودلالات ألفاظها وعباراتها ، وقد أثبتت التجارب أن كثيراً من التلاميذ أخفقوا في حل المسائل الحسابية ؛ لأنهم لم يفهموا كلمة « تلف » أو « ربح » أو « سلع » أو « ربح » .

المواد الاجتماعية : يعتمد التلاميذ في تحصيلها على القراءة والفهم ، ولا شك أن تقدم

التلميذ في اللغة يساعده على سرعة التحصيل ، وقد يطلب إلى التلميذ تلخيص موضوع ، أو وضع عناوين جانبية ، أو صوغ بعض الأسئلة ، ولاشك أن التقدم في اللغة ، يساعده على ذلك ، كما لا ننكر أن هذا يساعد التلميذ على النمو اللغوي .

الطبيعة والكيمياء : فيهما تجارب تحتاج إلى الدقة في الوصف والتعبير ، وفيهما نتائج وقوانين تحتاج إلى هذه الدقة أيضاً .

الترجمة : اللغة الطيبة الخصلة تفيد صاحبها في الترجمة ، وفي دقة نقل المعاني ، والبعد عن أخطاء الترجمة الحرفية .

المنمنمة : فيها تساق البراهين ، في دقة ومنطق وترتيب ، واللغة الجيدة هي المعين على ذلك .

مسئولية المدرسين :

الغرض الأساسي من تعليم اللغة هو إقدار التلاميذ على أن يتخذوها وسيلة للتفاهم ؛ وعلى هذا الأساس ينبغي أن يقع عبء تعليم اللغة على المدرسين جميعاً ، لا على مدرس اللغة وحده ، ويقول الإنجليز في نصائحهم التعليمية : « على كل مدرس أن يعد نفسه مدرساً للإنجليزية » . ولنا أن نقول : « على كل مدرس أن يعد نفسه مدرساً للغة العربية » وفي هذا المبدأ فوائد تربوية :

١ - فعندما يجد التلميذ أن اللغة موضع الاهتمام من جميع المدرسين يزداد اهتمامه بها . كما يزداد إيمانه بأنها وسيلة للتفاهم والاتصال في جميع المواقف ، لا في حصص اللغة العربية وحدها .

٢ - إذا لم تتضافر جهود جميع المدرسين على النهوض باللغة العربية فلن جهود مدرس اللغة تصبح ضئيلة الأثر ، بل إن مدرسي المواد الأخرى قد يفسدون عليه عمله ، ويهدمون بناءه ، وقد يبلغ الأمر ببعضهم أن يزدري الاتجاه الذي يبدو من بعض التلاميذ نحو الحرص على اللغة . قائلًا : « دعنا من هذا فلسنا في حصة لغة عربية » .

٣ - أن مدرسي المواد الأخرى - حين يحرصون على اللغة : ويهيئون الفرص لذلك - إنما يتيحون للتلميذ جواً جديداً للتدريب على اللغة ، فلو تصورنا أن التلميذ يحضر في اليوم سبع حصص مثلاً . وأفاد من كل حصة فائدة لغوية ، إلى جانب فائدته من درس اللغة نفسه ، فإن الربط بين مواد الدراسة يكون أتم ، والفائدة من اللغة أعم وأشمل .

موقف المدرسين فى المدارس المصرية :

مما يؤسف له أن نقرر أن معظم المدرسين مقصرون فى هذا الواجب الذى تحدثنا عنه :

- ١ - فمدرسو اللغة العربية كثيراً ما يرخصون لأنفسهم فى الحديث باللغة العامية .
- ٢ - ومدرسو المواد الأخرى قل أن يفيدوا التلاميذ أية فائدة لغوية ، ومنهم من يعجزون عن تصحيح الأخطاء ؛ بل ربما خطئوا الصواب ، وإذا عرضت مشكلة لغوية ، فى غير حصة اللغة العربية ، نجد المعلم - لعدم إيمانه بوظيفته الحقيقية - إما أن يتهاون ويسمح بمرور هذه الأخطاء ، وإما أن تبلغ به الاستهانة تعنيف التلميذ الذى يبدو منه الحرص على اللغة العربية .

هؤلاء المدرسون جميعاً لا يدركون أنهم مدرسون للغة ، بجانب تدريسهم المواد الأخرى ، ونحن فى هذا العصر ، الذى نشيد فيه بالقومية العربية ، ونثير فى التلميذ حب هذه القومية ، والاعتزاز بها ، لانجد بين أيدينا وسيلة طيبة مجدية مضمونة الأثر ، إلا هذه اللغة التى تعد أقوى رابطة تربط بين أبناء العرب جميعاً .

فليصرف كل منا بعض حماسه للقومية العربية إلى العناية باللغة العربية والاعتزاز بها ؛ ليكون - بحق - مسهماً فى هذا الواجب القومى النبيل .

ومشكلة اللغة القومية هينة عند الأمم الأخرى ؛ لأن مدرسى المواد المختلفة يتقنون لغتهم إلى حد يستطيعون معه أن يفيدوا التلاميذ فوائد لغوية . بجانب الفوائد الثقافية الأخرى ، ويؤمنون أن إتقانهم اللغة القومية . وحرصهم عليها ، من أهم مقومات المدرس ، والمواطن الصالح المستنير .